﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾ [الأنبياء: 81]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكـرُ معجزاتِ الابـــنِ بعـد مُعجزات الأبِ وكلاهما جمَعَ اللـه لـه الملـكَ والنّبوّةَ

لـمّا ذكرَ تعالى ما خصّ به نبيَّه داودَ ﷺ من معجزاتٍ باهرةٍ، ذكرَ ما خصّ به ابنَه سليمانَ ﷺ من معجزاتٍ ظاهرةٍ، من توريثِه ملكَ أبيه ونبوّتَه، ومن تسخيرِ الرّيح له[1]، وذلك من كمال فضلِ اللّه عليه أن سخّرَ له الرّيحَ، مع كونِها عاصِفَةً سريعةَ السّير والحركةِ، آبيةً عنِ التّسخير، فكانت تجري بأمرِه، سريعةً إلى الأرْضِ الّتي بارَكْنا وكثّرنا الخيرَ فيها لساكنيها وكذا لجميعِ من يأوي إليها، وذلك بأمرِ اللّه وعلْمِه وتصريفِه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَاصِفَةَ﴾: (عصف) أصلٌ يدلُّ على خفّة وسرعةٍ، فالأوّلُ من ذلك العَصْفُ: ما على الحَبّ من قشور التِّبْن، قال اللّه سبحانه: ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ٥﴾ [الفيل: 5]، والرّيحُ العاصف: الشّديدةُ، قال اللّه تعالى: ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ [يونس: 22]، ومعنى العاصفِ أنّها تستخفُّ الأشياءَ، فتذهبُ بها تعصفُ بها[3]، وقيل تَكْسِرُ الشّيءَ فتجعلُه كَعَصْفٍ[4]، فمعنى ﴿عَاصِفَةَ﴾ في الآية: قويّةٌ شديدةُ الهبوب[5].

2) ﴿بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: (أمر) أصولٌ خمسةٌ: الأمْرُ مِنَ الأُمورِ، والأمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ، والأمَر بِفَتْحِ الميمِ النَّماءُ والبَرَكَةُ، والمَعْلَمُ، والعَجَبُ[6]،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 169.
(2) نعمة الله علوان، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: 1/ 539.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عصف).
(4) الراغب، المفردات: (عصف).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عصف).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمر).

والمقصودُ هنا ضِدُّ النَّهْيِ، والأمرُ: التّقدّمُ بالشّيء سواءٌ كان ذلك بقولهم: افْعَل وليفْعَلْ، أو كان ذلك بلفظ خبرٍ نحوَ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: 228]، أو كان بإشارةٍ أو غيرِ ذلك[1]، ويقال أيضا: أمرتُ فلانًا أمرَهُ أي: أمرتُه بما ينبغي له منَ الخير، قال بشر بن سلوة:

وَلَقَدْ أَمَرْتُ أخاكَ عَمْرًا أَمْرَهُ *** فَعَصَى وضَيَّعَهُ بِذاتِ العَجْرَمِ[2]

قولُه تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطّلاق: 6]، أي: ليأمرْ بعضُكم بعضًا بالمعروف[3].

ومعنى ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ في الآية واحدُ الأوامرِ، وهو بمَعْنى الإذْنِ والتَصَرُّف، فتجري الرّيحُ حسبَ رغبةِ سليمان وما يلائمُ أسفارَه[4].

3) ﴿بَٰرَكْنَا﴾: (برك) أصْلٌ يَدُلُّ على ثباتِ الشّيء، ثم يتفرّعُ فروعًا يقاربُ بعضُها بعضا[5]، ومنه البَرَكَةُ وهي ثبوتُ الخير الإلهيِّ في الشّيء، وسُمّي بذلك لثبوت الخيرِ فيه ثبوتَ الماء في البِركة، قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96]، والمُبارَك: ما فيه ذلك الخيرُ[6]، وقال الخليل: البركةُ منَ الزّيادة والنّماء[7]، وبعضُهم تكلّمَ في قَوْلهم: تبارك الله، فقالوا بأنّه العُلو؛ لِأنّ البركَة في الشَّيْء تعني النَّماءَ بعد النُّقْصان، وهي صفةٌ تنتفي عنِ الله تعالى، وقالَ غيرهم: قولُنا: (تبارك الله)، هو تفاعلٌ منَ البركَة، ولَيْسَ بمعنى النَّماء، وإنَّما يرجع معناه إلَى الجلال والعَظَمَة، علمًا بأنّ لفظَ (تبارك)، لا يوصفُ بِهِ إلّا المولى ﷻ، ولا يوصفُ به غيرُه[8].

ومعنى ﴿بَٰرَكْنَا﴾ في الآية هو جعلُ الأرض كثيرةَ الخير والنّماءِ بشرطِ أن لا يتحوَّلا عنها.

(1) الرّاغب، المفردات: (أمر).
(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (أمر).
(3) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (أمر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 123.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (برك).
(6) الرّاغب، المفردات: (برك).
(7) الخليل، العين: 5/ 368.
(8) ابن دريد الأزديّ، جمهرة اللّغة: (برك).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تسخيرُ الله لسليمانَ ركوبَ الرّيح إلى الأرض المباركة بعد التّنويه بتفْهيمِه الحُكمَ

يُخبرُ الله سبحانه أنّه سخَّرَ بعظمتِه لسليمانَ الرّيحَ شديدةَ الهُبوب، تحملُه ومَن معه، وتَجري بأمره إلى أرض بيتِ المقدس بالشّام التّي باركنا فيها بالخيرات الكثيرة، وقد أحاط علمُه سبحانه بجميع الأشياءِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ (الواو) في قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾:

ذكرُ كرامةٍ أخرى من كراماتِ الأنبياءِ عليهم السلام

استُهلَّ قولُه تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، بحرف الواو الدّالِّ على العطفِ والاقترانِ، والجامعُ بين الجُملتَين عقليٌّ، فهذه كرامةٌ أخرى منَ الكرامات التّي خصّ بها الله سبحانه أنبياءَه عليهم السلام، فعطفَ هذه الجملةَ على جملة ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾، بمناسبةِ تسخيرٍ خارقٍ للعادة، في كلتا القصّتَين مُعجزةً للنّبيَّيْن عليهما السلام[2].

دلالةُ استعمالِ حرفِ (اللّام) مع سليمانَ والظّرفِ ﴿مَعَ﴾ مع داود:

تمليكُ الرّيحِ لسليمانَ تجري في طاعته وبأمرِه

أوثِر في قوله تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، التّعبيرُ بحرف اللّام، في حقّ سليمانَ عليه السلام، لأنّها دالّةٌ على التّمليك، فقد جعل الله الرّيحَ تحت أمر سليمانَ، وفي طاعته[3]، ويُلاحظُ أنّ النّظمَ القرآنيَّ المُعجزَ، قد جاء في التّركيب هنا حين ذكرَ تسخيرَ الرّيح لسليمان بـ(اللّام)، وحين ذكرَ تسخيرَ الجبال لداود جاء بلفظ ﴿مَعَ﴾ فقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾، لنُكتةٍ بلاغيّةٍ، وهي للدِّلالةِ على ما بين التّسخيرَين منَ التّفاوُت، فإنَّ تسخيرَ ما سُخِّر لسليمانَ عليه السلام، منَ الرّيح وغيرِها، كان بطريق الانقيادِ الكُليِّ له، والامتثالِ بأمره ونهيه والمقهوريّةِ تحت مُلكه، وأمّا تسخيرُ الجبال والطّيرِ لداودَ عليه السلام كان

(1) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 328.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 122.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 457.

بطريق التّبعيّةِ له ﷺ، والاقتداءِ به في عبادة اللّه عزّ وعلا، فإنّهما لمّا اشتركا في التّسبيح، ناسبَ ذكرُ ﴿مَعَ﴾ الدّالّةِ على الاصطحاب[1].

وقيل أيضًا في نُكتة ذلك أنّ الجبل لمّا اشتغل بالتّسبيح، حصلَ له نوعُ شرفٍ، فما أضيف إليه بـ(لام) التّمليك، أمّا الرّيحُ فلم يصدرُ عنه إلّا ما يجري مُجرى الخِدمة، فلا جرمَ أن أضيف إلى سليمانَ بلام التّمليك[2] ويمكنُ أن نقول: إنَّ الفرق يظهرُ بالنّظر إلى طبيعةِ المُسخَّرات، ففي حالة داود كانتِ المُسخَّراتُ الجبالُ والطّيرُ تردّدُ وتتجاوبُ مع تسبيحه وصلاتِه دون القيام بمهمّةٍ مختصّةٍ به يتملّكُها، فكان تأشيرُ الوقت بالظّرف ﴿مَعَ﴾ ليدلَّ على الانقياد المتعلّقِ بهيئةٍ يمارسُها داودُ وهي التّسبيحُ، وفي حالة سليمانَ كانتِ الرّيح هي المسخرةَ لخدمته والقيام بشؤونه وأعماله في مملكته، فلم تكن مقيَّدةً بحالة يفعلُها سليمانُ حتى يأتيَ الظّرفُ المرتبطُ بالوقت، وإنّما تخرجُ عنه في أيِّ وقت وحالةٍ، ومن ثَمّ جاءتِ اللّام لتفيدَ إطلاقَ التّسخير لجميع الحالاتِ والهيئاتِ والأزمنة.

نُكتةُ تقديم الجارّ والمجرور ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾:

تخصيصُ سليمانَ دون غيرِه بتسخير الرّيحِ

تقدّمَ في قوله تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، الجارُّ والمجرورُ ﴿لِسُلَيْمَٰنَ﴾، للدّلالة على اختصاصه ﷺ بهذه المعجزة وغيرِها، منَ الخوارق الّتي لم تُعطَ لغيره منَ البشر استجابةً لدعائه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: 35].

دلالةُ لفظَيْ ﴿عَاصِفَةً﴾ و﴿رُخَآءً﴾:

لطفُ الرّيح في نفسِها وعصْفُها في عملِها

وُصفتِ الرّيحُ في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ بأنّها عاصفةٌ، ومعناها الشّديدةُ في هبوبها، بحيث تُقوِّضُ القائمَ، وقد

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 80.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 169.

وصفَ اللّه الرّيحَ بهذا الوصف للإشارة إلى أنّها في قسوة هبوبِها وعصْفِها لا تذرُ شيئًا أتت عليه إلّا أزالته[1]، كما وصفَها اللّه تعالى أيضًا بالرّخاوة في قوله: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦﴾ [ص: 36]، فجمعَ العلماءُ بين الوصفين بأنّها كانت في نفسِها رخيّةً طيّبةً كالنّسيم، فإذا مرّتْ بكرسيّه أبْعَدَت به في مدّةٍ يسيرةٍ، على ما قال: ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾ [سبأ: 12]، فكان جمعُها بين الأمرين، أن تكون رخاءً في نفسها، وعاصفةً في عملِها، مع طاعتها لسليمانَ، وهبوبِها على حسب ما يريد آيةً إلى آية، ومعجزةً إلى معجزة، وقيل: كانت في وقتٍ رُخاءً، وفي وقتٍ عاصفةً، لهبوبها على حكم إرادتِه[2].

وقال بعضُهم إنّ العاصفة، هي في القفول على عادة البشرِ والدّوابّ، في الإسراع إلى الوطنِ، والرُّخاءُ كانت في البداءة[3]، وقيل ﴿عَاصِفَةَ﴾ باعتبار عملِها، و﴿رُخَآءً﴾ [ص: 36] باعتبار لُطفها بهم، فلا يجدون لها مشقّةً[4]، وكلُّها وجوه محتملةٌ مقبولةٌ.

سرُّ اختيارِ لفظ ﴿تَجۡرِي﴾ في الآية:

دوامُ جريان الرّيحِ في خدمة سليمان غُدوًّا ورواحًا

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجۡرِي﴾، بالفعل ﴿تَجۡرِي﴾، وصفًا لحركة الرّيح، للدّلالة على سرعة هبوبِها، إذا أمرَها غاديةً ورائحةً، ذاهبةً إلى حيث أراد سليمانُ عليه السلام وعائدةً على حسب ما يريد[5]، كما أنّ مجيئَه بصيغة المضارع يشيرُ إلى تجدّدِ ودوامِ جَريانها، دون انقطاعٍ في خدمة سليمانَ، وفي استعمال الفعل ﴿تَجۡرِي﴾ الغالبِ استعمالُه مع الماء دون (هبّ) الغالبِ استعمالُه مع

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4903.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 130.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 93.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 458.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 458.

الرّياح على سبيل الاستعارةِ للدّلالة على أنَّ حركةَ تلك الرّيحِ تختلفُ عن سائر الرّياح والعواصفِ، الَّتي تهبُّ ولا تميّزُ في حركتها بين نافعٍ وضارٍّ ومرادٍ وغيرِ مرادٍ وكأنّها عمياءُ، بخلاف هذه الرّيح المسخَّرةِ فإنّها تجري جَريانَ الماء بين المسارِبِ؛ فلا تُؤذي ما تمرُّ به بل تحملُ سُفنَهم في الماء فتجري بها وببضائعِهم جريانًا طيّبًا نافعًا.

نُكتةُ التّقييد بالجارّ والمجرور ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾:

مطلقُ التّصرّفِ في الرّيح حسبَ أمْرِ سليمانَ

قُيّد جريانُ الرّيح في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ﴾، بالجارّ والمجرور ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾، للدّلالة على مطلق التّصرّفِ في الرّيح، فقد وهبَ اللّه ﷻ الرّيحَ لسليمانَ عليه السلام لإجرائها كما يريدُ، وفق المصلحةِ المتوخّاةِ، فكان يتنقّلُ بها مع جيشه إلى كلّ الأماكن لدعوةِ الخلقِ إلى عبادة اللّه وحده، وبذلك تتعاونُ هذه الدّلالةُ الصّريحةُ مع إشارة (لام) الملك في ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ﴾ في الإشارة إلى تسخير الرّيح لسليمان عليه السلام على سبيل التّمليك والتّصرّفِ المُطلقِ، بخلاف تسخيرِ الجبال والطّيرِ مع داود عليه السلام.

بلاغةُ توجيهِ القراءاتِ القرآنيّةِ في الآية:

الرّيحُ والرّياحُ للخير والشّرّ ولا فرقَ بينهما

روي في قوله تعالى ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، قراءتان مشهورتان، فقد قرأ الجمهورُ ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بالإفراد، وقرأ أبو جعفر ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ بصيغة الجمع[1]، وقد فرّق بعضُ العلماء بين لفظَي ﴿ٱلرِّيحَ﴾ بالإفراد، و﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ بالجمع، فجعلَ حجّةَ من أفرد: أنّه جعلَها عذابًا، واستدلَّ بما روي عنِ النّبيّ ﷺ: "اللّهم اجعلها رياحًا لا ريحًا"[2]، والحجّةُ لمن جمعَ: أنّه فرّق بين رياح الرّحمةِ، ورياح العذابِ، فجعل ما أُفرد للعذاب، وما جُمعَ للرّحمة[3].

(1) ابن الجزريّ، النّشر: 02/ 223.

(2) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، الحديث رقم: (11533)، والحديث ضعيف جدّا، يُنظر: الألباني، السّلسلة الضعيفة، الحديث رقم: (4217).

(3) ابن خالويه، الحجّة، ص: 91.

والرّاجحُ أنّ هذا التّفريق غيرُ مستقيم، فالحديث المرويُّ ضعيفٌ جدًّا، لا تقومُ به أدنَى حُجّةٍ، وفي الحديث نكارةٌ في متنِه أيضًا؛ لأنَّ الرّيح ليست على إطلاقها مذمومةً، فقد قال تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22]، فهي هنا ليست عذابًا، وكيف يوصفُ العذابُ بالطيّب!، وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: 36].

ومع ذلك فقد يقال: إنَّ (الرّيح) إذا ذُكرت مطلقةً فالغالبُ أن تكون في العذاب، و(الرّياح) إنِ استُعملت غيرَ مقيّدَةٍ فإنّ الغالبَ أن تكون للرّحمة، وأمّا إذا قُيّدا بالإضافةِ أو بالوصف خرجا عمّا هو الغالبُ لنُكتةٍ، ولعلَّ النّكتةَ هنا أنّ قراءةَ الجمهور توجّهُ على ملاحظة صفةِ (العصف) الدّالّةِ على الشّدّة والقوّةِ والإهلاك، وقراءةَ غيرِهم توجّهُ على ملاحظة صفةِ ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾، فتكونُ الرّيح المُسخّرةُ لسليمان عليه السلام مُطلقةً في العذابِ والرّحمة والشّرّ والخيرِ ممّا يدلُّ على عظمة التّسخير وإطلاقِه.

وملمح بلاغيّ آخر في توجيه قراءة الجمع والإفراد هو اختلاف الجهة، فوجه القراءة بالجمع هو إتيانها من كل جانب، وذلك معنى يدلّ على اختلاف هبوبها، فهي رياح لا ريح؛ لأنّ الريح الواحدة إنما تأتي من جانبٍ واحد، فكان لفظُ الجمع فيها أولى، لتصرّفِها من جهات فيكون لفظها مطابقًا لمعناها في الجمع، ووجه القراءة بالتوحيد أن الواحد يدلّ على الجمع؛ لأنّه اسم للجنس، مع ثبات معنى الجمع فيه[1].

دلالةُ التّعريفِ في قوله ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

جاء في قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾، لفظُ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ معرّفًا بـ(ال)، فقيل إنّ تعريفه للعهد، وأنّ الأرضَ المباركةَ هي أرضُ الشّام، وكانت مسكنَه ومقرَّ ملكِه، وقيل: أرضُ فلسطين، وقيل: بيتُ المقدس، وممّا يقوّي هذا الوجهَ الوصفُ الّذي اشتملت عليه الصّلةُ المشيرةُ إلى بقعةٍ مباركةٍ طيّبةٍ، وفائدةُ بيانِ الانتهاء إليها كما يرشدُ لذلك حرفُ الجر (إلى) أنّ مملكتَه أصبحت موطنًا لكلِّ الخيرات، فتُجبَى إليها

(1) مكّي، الكشف: 1/ 271.

مواردُ الأقطار والأقاليم البعيدةِ من كلّ حدَبٍ وصوْبٍ، فكانت قبلةَ الخيرات وموئلَ الرّحمات، وجعل بعضُهم التّعريفَ للجنس، فيقتضي العمومَ، فتكونُ أيَّ أرض يسيرُ إليها سليمان، كائنةً ما كانت، ووُصفت بالبركة، لأنه إذا حلّ أرضًا أصلَحها بقتل كفّارها، وإثباتِ الإيمان فيها، وبثّ العدل في ربوعها، ولا بركةً أعظمَ من هذا[1].

نـشـرَ سليمانُ الحـقَّ والـعـدلَ حيثما حـلَّ أوِ ارتحلَ

سرُّ الموصولِ ﴿ٱلَّتِي﴾ وأثرُه في الدّلالة:

استُعملَ في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾، الاسمُ الموصولُ ﴿ٱلَّتِي﴾، دون الاسمِ الظّاهر، والنُّكتةُ فيه أنّه يسمحُ بالوصف بجملةِ الصّلة، لأنَّ الموصولَ وصلتَه كالشّيء الواحدِ، فقد وصفَ اللّه هذه الأرضَ بأنّه قد بارك فيها، ولهذا قال المفسّرون في تعيينها: إنّها أرضُ الشّام أو فلسطينُ.

وصـــفُ أرضِ الشّام أو مُطلقِ الأرض بالبركاتِ وكثرةِ الخيراتِ

والجمهورُ على أنّ جملةَ صلة الموصولِ ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ صفةٌ للأرض، وقال بعضُهم: إنّ الكلام تامٌّ عند قوله: ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، وجملةُ ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ صفةٌ للرّيح، ففي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، يعني أنَّ أصلَ التّركيب: (وَلِسُلَيۡمَانَ الرّيحَ الّتي بارَكْنا فيها عاصِفَةً تَجْري بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ)[2]، والأوّلُ أرجحُ وأوفقُ للسّياق، كما تفيدُ جملةُ الصّلة علّةَ انتهاء حركةِ جريان الرّيح بهذه الأرض دون ما سواها، وتلك العلّةُ تُفرزُها جملةُ الصّلةِ وهي أنّها أرضٌ طيّبةٌ ومباركةٌ.

سرُّ ورودِ الفعل ﴿بَٰرَكۡنَا﴾ ماضيًا في الآية:

أوثِر في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾، استعمالُ صيغةِ الماضي في الفعل ﴿بَٰرَكۡنَا﴾، للدّلالة على تحقّقِ البركة واستقرارِها في هذه الأرض، فقد كانت منذُ القديم مهدًا لعديدٍ منَ الرُّسل والرّسالات، ومهبطًا لكثيرٍ منَ الآيات والمُعجزاتِ، واللّه

ثبوتُ البركةِ في أرض الشّامِ منَ القديمِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 458.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 458.

يَصطفي منَ الأمكنةِ والأزمنةِ والأشخاصِ ما يريدُ، لا غالبَ لأمرِه ولا حدودَ لحكمتِه.

نُكتةُ إسنادِ الفعلِ إلى ضميرِ العظمةِ:

في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ أُسنِد الفعلُ ﴿بَرَكْنَا﴾، إلى ضمير العظَمةِ للدّلالة على قُدرةِ اللّه ﷻ في اصطفاءِ بعضِ الأمكنة دون بعضٍ، وتخصيصِ بعضِها ببركاتٍ وخيراتٍ دون بعضٍ، فسنّةُ الرّبّ العظيمِ في خلقِه التّفضيلُ بين المخلوقات، وتفخيمُ ذاتِ الفاعل تستلزمُ تفخيمَ الفعل وتعظيمَه لأنَّ الحدثَ يعظمُ بعظمةِ فاعلِه، وفي تعديةِ الفعلِ ﴿بَرَكْنَا﴾ بـ (في) دون القول (باركناها) للدّلالة على أنّ البركةَ حلّتْ في أجوائِها وأمكنتِها حلولَ المظروفِ في الظّرفِ، وذلك الحلولُ يَستدعي الانتشارَ مع الثُّبوت والدّوام؛ لأنَّ البركةَ تثبتُ في الأشياء وتستقرُّ فيها ولا تغادرُها بخلاف (باركناها) فإنّها تفيدُ مباركةَ المكان مطلقًا دون الانتشارِ والحلول في جوانبِه المختلفةِ.

عظمةُ الرّبِّ سبحانه في اختصاصِ بعضِ الأماكنِ بما شاء منَ البركات

دلالةُ العطفِ بالواو في قوله: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾:

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾، على ما قبْلَه بحرف الواو، الدّالِّ على الجمعِ والاقتران، والجامعُ بين المتعاطفاتِ الجامعُ العقليُّ، فأفادتِ الواوُ الرّبطَ؛ لأنّه خرج مخرجَ التّذييل لِما قبْلَه من تسخير الرّيح لسليمانَ ﷺ، فإنّه لـمّا كانت هذه الاختصاصاتُ في غاية الغرابةِ، أخبرَ تعالى أنّ علمَه محيطٌ بالأشياء، يُجريها على ما سبقَ به علْمُه[1].

بيانُ أنّ علمَ اللهِ محيطٌ بكلّ الأشياءِ

دلالةُ فعْلِ الكينونةِ ﴿وَكُنَّا﴾ في السّياق المُحكمِ:

عُبِّر في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾، بالفعلِ الماضي ﴿وَكُنَّا﴾، مِن (كان) الّذي يأتي في الأصل للاتّصافِ بالخبر في

تأكيدُ أنّ صفاتِ الرّبِّ سبحانه ثابتةٌ مطلقةٌ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 458.

الماضي مع الانقطاعِ، غيرَ أنّه يخرجُ لدلالة الدّوام والاستمرارِ بمعنى (لم يزل)، أي إنّها تأتي دالّةً على الدّوام[1]، فاللّه ﷻ كان ولا يزال عالمًا سبحانه بكلّ شيءٍ من شؤون خلقِه، علمًا مطلقًا لا يعتريه أيُّ نقص، وفائدةُ الزّمن الماضي في أمثال هذه النّصوص دفعُ وهْمِ من يعتقدُ أنَّ هذه الأفعالَ كانت تخرجُ في ذلك الوقت عن عدمِ علْمٍ محيطٍ بتفاصيلها فيأتي الرّدُ على حسب ذلك التّوهّمِ المرتبطِ بالزّمن الماضي.

نُكتةُ تقديمِ الجارّ والمجرور في الآية:

قُدّم في قوله تَعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾، الجارُّ والمجرورُ ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾، على خبرِ كان، لنُكتةِ الاهتمامِ بشمولِ علْمِه سبحانه وعمومِه، فاللّه سبحانه لا يعزبُ عن علمِه شيءٌ في السّماوات ولا في الأرض بل يفيدُ التّقديمُ الاختصاصَ أيضًا؛ إذ علْمُ اللّه وحدَه محيطٌ بكلّ شيءٍ، وفائدةُ الكليّةِ المضافةِ إلى ﴿شَيْءٍ﴾ إضافةً استغرقيّةً إرادةُ الشّمول والعمومِ فلا يعزبُ عن علمه كليٌّ ولا جزئيٌّ.

شمولُ علمِ اللّه سبحانه لكلّ المخلوقاتِ في الأرض والسّماواتِ

دلالةُ وصفِ ﴿عَٰلِمِينَ﴾ في الآية:

في قوله تَعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾، وردَ اسمُ الفاعل ﴿عَٰلِمِينَ﴾ للدّلالة على ثبوتِ صفةِ العلم ورسوخِها، فعلمُ اللّه سبحانه ثابتٌ شاملٌ، لتدبيرِ كلّ شيءٍ منَ الكائنات، فيُجريه على ما يقتضيه علْمُه وحكمتُه سبحانه؛ فما آتى سليمانَ الملكَ والنّبوّةَ، وما سخّرَ له الرّيحَ تجري بأمره إلّا لعلْمِه بما في ذلك منَ الحكمة والمصلحة[2]، وإنّما ذُيّلت معجزةُ داود ﷺ بقوله ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ومعجزةُ سليمانَ ﷺ بقوله: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾؛ لأنّ تسخيرَ الجبال والطّير بالتّسبيح والتّجاوُبِ مع داودَ من جنس الفعل والعمل، فكان التّذييلُ

تدبيرُ أمرِ الكائنات على ما يقتضيه علْمُه وحكمتُه سبحانه

(1) السّيوطيّ، همع الهوامع: 1/ 120.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 18/ 147.

المناسبُ الإشارةَ إلى الفاعل الحقيقيِّ وهو الله تعالى، في حين أنَّ تسخيرَ الرّيح وجلْبَها المنافعَ والفوائدَ إلى مملكة سليمانَ وأنَّ الرّيح منقادةٌ لأمره تسمعُ كلامه وتَعي ما يريدُ وما يقصدُ من جنس العلْمِ فناسبَها التّذييلُ بقوله: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العاصِفَةُ والإعصارُ:

الإعـصـارُ أشـدُّ أنـــواعِ الـرّيـح العاصفةِ وكلُّ إعـصـارٍ ريـحٌ وليس كـلُّ ريحٍ إعصارًا

يشتركُ لفظا ﴿عَاصِفَةَ﴾ و﴿إِعْصَارٌ﴾، في كونِهما من أوصاف الرّيح، ويظهرُ الفرقُ بينهما في أصلِ الاشتقاق، وفي شدّة الهُبوبِ والقوّةِ، فأمّا من جهة الاشتقاقِ، فالعاصفةُ مشتقّةٌ منَ (العصف)، وهو أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خفّةٍ وسرعةٍ، والعاصفةُ ريحٌ شديدةٌ تستخِفُّ الأشياءَ فتذهبُ بها، وتعصفُ بها[1]، وأمّا الإعصارُ فأصلُه منَ (العصر) وهو ضغطُ شيءٍ حتّى يتحلّبَ، فسمّيتِ الرّياحُ الّتي تثيرُ السّحابَ المُعصرات إعصارًا[2].

وأمّا الفرقُ بين العاصفة والإعصارِ، من جهة شدّةِ الهبوبِ، فالإعصار أشدُّ عنفًا وبأسًا منَ العاصفة، إذ هو ريحٌ تهبُّ منَ الأرض إلى السّماء، كأنّها عمودُ نارٍ[3]، ولهذا ضربَ اللّه ﷻ بها المثلَ، في قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البقرة: 266]، فهي ريحٌ شَديدَةٌ، لا يُقال لَها إعصارٌ حَتَّى تَهُبَّ كَذَلِك بِشدَّةٍ، ومنْه قَولُ العَرَب أيضا في أمْثالها: (إن كنتَ ريحًا فقد لاقيتَ إعصارًا)، يُضْربُ مَثَلًا للرّجل يَلْقَى قِرْنه في النَجْدةِ والبَسالةِ[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عصف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عصر).
(3) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ص: 82.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عصر).

(بارَكَ) و(تبارَكَ):

اختصاصُ لفظِ (تبارك) بالرّبّ ﷻ وحدَه

يشتركُ لفظا (بارك) و(تبارك)، في أصل الاشتقاقِ وهو (البركة)، ويتجلّى الفرقُ بينهما في الاستعمالِ، فلفظُ (بارك) عامٌّ يطلقُ في حقّ الخالق والمخلوقِ، وأمّا (تبارك) فلا يُستعملُ إلّا في حقّ الرّبّ ﷻ، فلا يقال: تبارك فلانٌ، فهو من خصائصِ الله تعالى، لأنّ (تبارك) تفاعلَ منَ البركة والعظَمةِ والجلالِ، وهذا الثّناءُ في حقّه تعالى، إنّما هو لوصفٍ رجعَ إليه تعالى، فإنّه (تفاعلَ) منَ العُلوِّ والعظمةِ؛ ولهذا يَقرنُ بين هذين اللّفظَين، فيقال: ﷻ، وفي دعاء القنوتِ: تباركتَ وتعاليتَ، كما أطلقَها سبحانه على نفسِه في كثيرٍ منَ الآيات نحوَ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: 1]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾ [الفرقان: 61]، ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٥﴾ [الزّخرف: 85]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: 1]، وقال تعالى عقبَ خلْقِ الإنسانِ في أطواره السّبعةِ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: 14]، أفلا تراها كيف اطّردت في القرآن جاريةً عليه، مختصّةً به، لا تُطلقُ على غيره، وجاءت على بناء السَّعةِ، والمبالغةِ، كـ(تعالى، وتعاظم)، ونحوهما، فجاء بناءُ تبارك على بناء تعالى، الّذي هو دالٌّ على كمال العُلوِّ ونهايته وغايته، فكذلك تبارك دالٌّ على كمال بركته، وعظَمِها، وسَعتِها، وحقيقةُ اللّفظة: أنّ البركةَ كثرةُ الخير، ودوامُه، ولا أحدَ أحقُّ بذلك وصْفًا، وفعلًا منه ﷻ[1].

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 2/ 680.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»